التجديد في التفسير عند أبي زهرة
التفسير الاصلاحي أنموذجًا

إعداد
د سعيد بن محمد سعد الشهراني
استاذ التفسير وعلوم القرآن المشارك
بجامعة الملك خالد بأبها

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، وعلى آله وأصحابه أجمعين؛ أما بعد:

فإن من أعظم المِننَّ التي امتن الله بها علينا أهل الإسلام نزول القرآن؛ هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان، "فمن اهتدى بما يدعو إليه القرآن كان أكمل الناس وأقومهم وأهداهم في جميع

أموره"[1].

وحاجة الأمة ماسة إلى فهم القرآن وتدبره؛ واستنباط هداياته وتوجيهاته في كل زمان ومكان، وهي في هذا العصر أشد، لفشو الجهل واتباع الهوى، وكثرة الفتن- نسأل الله أن يعصمنا من الزلل-

وحين تأملت في محاور المؤتمر القرآني الدولي الرابع رغبت بأن أكتب في التجديد في التفسير فكان هذا البحث الذي بين يديك والموسوم بـالتجديد في التفسير عند أبي زهرة (التفسير الإصلاحي أنموذجًا)، لأن التجديد مطلب في كل العلوم وذلك بأن يستنطق الباحثين النصوص ويستنبطوا الأسرار والحِكم منها، وينزلونها على واقع المسلمين لحل إشكالاتهم ومعالجة مشكلاتهم.

ويهدف هذا البحث إلى أمرين:

الأول:إلقاء الضوء على تفسير علم من أعلام التفسير في العصر الحديث.

الثاني: إبراز عنايته رحمه الله بالتجديد في هذا العصر ، وخاصة حين يعرض للتفسير الاصلاحي والحاجة إليه في تفسيره للقرآن الكريم.

وقد جعلت هذا البحث القرآني في مقدمة، وثلاثة مباحث.

مقدمة: ذكرت فيها أهمية الموضوع، والحاجة إليه.

التمهيد: وفيه مدخل إلى مراحل التفسير .

المبحث الأول: التعريف بالمصطلحات والمؤلف

المطلب الأول: التعريف بمصطلحات البحث:(التجديد-التفسير الإصلاحي)

المطلب الثاني: تعريف موجز بالإمام محمد أبو زهرة.

المبحث الثاني : معالم التفسير الإصلاحي في تفسيره.

المبحث الثالث: مجالات الإصلاح التي اعتنى بها في تفسيره.

الخاتمة وفيها ذكر أهم النتائج التي توصلت إليها . هذا؛ والله أسأل التوفيق والسداد، وصلى الله على نبينا محمد، وعلى آله وأصحابه أجمعين.

---

(١) تيسير الكريم المنان، ابن سعدي (٤٥٤).

تمهيد:

بدأت مسيرة التفسير بنزول القرآن على النبي –ρ– فكان النبي – ρ– يُبين للصحابة معاني آي الكتاب ابتداءً، وإذا أشكل عليهم فهم شيء من آي الكتاب سألوا رسول الله – ρ– فيبين لهم ما أشكل عليهم .

ولقد " مرّت حركة التفسير فِي مسيرتها التاريخية – منذ الصحابة رضوان الله عليهم وحتى العصر الحاضر– بأربع مراحل بارزة، هي:

الأولى: التفسير فِي طور التأسيس. وكانت من بداية النزول إلى القرن الثالث.

الثانية: التفسير فِي طور التأصيل، وكانت في نهاية القرن الثالث.

الثالثة: التفسير فِي طور التفريع. وقد بدأت من القرن الرابع وحتى القرن الرابع عشر.

الرابعة: التفسير فِي طور التجديد (المنهج الإصلاحيّ)" [1]

والمرحلة الرابعة هي بيت القصيد وعليها مدار البحث، والذي يُعد محمد عبده ممن أحدث هذه المرحلة وصنف فيها ثم جاء تلامذته من بعده ليتموا ما ابتدأ الأستاذ، وكان الدافع لهذه المرحلة ما كانت تمر به الأمة في زمانهم – ولا زالت والله المستعان – من ذلة وهوان، وتشتت وتشرذم، فرأت المدرسة أنه لا سبيل لاسترجاع الأمة لمجدها ومكانتها إلا بالرجوع إلى دينها، وذلك بربطها بكتاب ربها جل وعلا، فهرعوا إلى خطاب الأمة من خلال جهودهم في التفسير وكانوا يبثون آراءهم الإصلاحية والتجديدية من خلال تنزيل الآيات القرآنية على واقع الأمة.

وهذا التجديد الذي قامت به المدسة الإصلاحية فيه المحمود ودون ذلك[2]، إلا أن مما ينبغي الإشارة إليه أن التجديد في أي علم من علوم الشريعة عامة والتفسير خاصة لابد وأن يكون في الفروع لا الأصول فهي ثابتة لا تتغير ولا تتبدل بتغير الأزمان والأشخاص.

المبحث الأول:
التعريف بالمصطلحات والمؤلف

المطلب الأول:
التعريف بمصطلحات البحث:(التجديد-التفسير الإصلاحي)

المطلب الثاني:

(١) تعريف الدارسين بمناهج المفسرين (٣٥-٤٠) باختصار

(٢) قلت: وليس المجال مجال بحث في هذه المسألة وإن كانت ذات أهمية بالغة، إلا أن البحث لا يتسع لتفصيلها.

تعريف موجز بالإمام محمد أبو زهرة:

المطلب الأول:
التعريف بمصطلحات البحث:(التجديد-التفسير الإصلاحي)

التجديد في اللغة والاصطلاح الشرعي.

التجديد في اللغة: من الجِدَّةُ: مَصْدَرُ الجَدِيدِ، وأَجَدَّ ثَوْبًا واسْتَجَدَّه. وثيابٌ جُدُدٌ، وتجدَّد الشيءُ: صَارَ جَدِيدًا. وأَجَدَّه وجَدَّده واسْتَجَدَّه أَي: صَيَّرَهُ جَدِيدًا [1].

وأما في الاصطلاح الشرعي: فقد عرفها المناوي فقال: احياء ماندرس من أحكام الشريعة وما ذهب من معالم السنن وخفي من العلوم الدينية الظاهرة والباطنة[2].

قلت التجديد في الاصطلاح: إحياء النص ليتواكب مع مستجدات العصر بالنظر في فروع الشريعة دون المساس بأصولها.

التفسير الاصلاحي في اللغة والشرع.

التفسير في اللغة: من الفَسْرُ، وهو بيانِ شيءٍ وإيضاحِه يقال: فَسَرْتُ الشَّيءَ وفسَّرتُه، والفَسْرُ: التفسير وهو بيان وتفصيل للكِتاب، وفَسَره يفسِره فسرا، وفسره تفسيرا، وكلُّ شيءٍ يُعرفَ به تفسيرُ الشيءِ فهو التَّفسِرةُ[3].

قال أبو حيان: هو علم يبحث فيه عن كيفية النطق بألفاظ القرآن ومدلولاتها وأحكامها الإفرادية والتركيبية ومعانيها التي تحمل عليها حالة التركيب وتتمات لذلك[1]، **وعرَّفه ابن عثيمين** فقال: هو بيان معاني ألفاظ القرآن الكريم[2].

---

(١) لسان العرب (٣/ ١١١)، وانظر: الصحاح للجوهرى (٤٥٤/٢) ، المعجم الوسيط (١٠٩/١).

(٢)فيض القدير (١/ ١٠).

(٣) انظر: معجم مقايس اللغة (مادة : فسر) (٥٠٤/٤)، كتاب العين (٧ / ٢٤٧)، تهذيب اللغة (١٢ / ٢٨٢).

والإصلاح في اللغة: من أصلح يصلح إصلاحاً، والصلاح[٣]- بفتح الصاد- ضد الفساد, يقال: صلحت حال فلان، وصلح الأمر وأصلحته، وأصلح الله تعالى في ذريته وماله. وأمر الله تعالى ونهى لاستصلاح العباد.[٤]

قلت: التفسير الاصلاحي: هو بيان آي الكتاب لطرائق إصلاح الأفراد والمجتمعات، سلوكيًا واجتماعيًا واقتصاديًا وسياسيًا.

---

(١) البحر المحيط (١/ ١٢١).

(٢) أصول التفسير (٢٨).

(٣) **وجاء في تاج العروس:** وصلاح من أَسماءِ (مَكّة) شَرّفَها الله تَعَالَى. قَالَ حَرْبُ بنُ أُمَيَّةَ يخَاطبُ أَبا مَطَرٍ الحَضْرَميّ،

أَبا مَطَرٍ هَلُمَّ إِلى صَلاحٍ فتَكْفِيك النَّدَامَى من قُرَيْشِ . انظر: تاج العروس (٦/ ٥٤٩).

(٤) انظر الصحاح (٣٨٢/١) مادة (صلح)، ولسان العرب (٥١٦/٢) مادة (صلح)، أساس البلاغة (١/ ٥٥٤).

المطلب الثاني:
تعريف موجز بالإمام محمد أبو زهرة[1].

هو: محمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد بن عبد الله، أبوزهرة الششتاوي، ولد الشيخ أبو زهرة في القرن الرابع عشر الهجري، سنة (١٣١٦هـ) .

وقد نشأ الشيخ في أسرة، قال في وصفها: بين الغنى والفقر وإلى الفقر أقرب، ولكنها كانت مستورة الحال، يظنها الناس من الأثرياء، وهي من متوسطي الحال، واشتهرت بالعلم والذكاء.

وقد نشأ الشيخ في وسط أسرة ريفيه عُرفت بالتمسك بالدين، فقد كان لوالده الأثر الأكبر عليه، فحفظ القرآن الكريم قبل أن يذهب للكُتاب، وبعد ذلك تعلم مبادئ العلوم، والتحق بالجامع الأحمدي، فمكث فيه ثلاثة أعوام، وقد بدت عليه مظاهر النبوغ والتفوق، حتى أن الشيخ الأحمدي الظواهري قرر له مكافأة لتفوقه وتميزه، واقترح أن تُختصر له المدة المقررة للدراسة في الأزهر . وكانت آنذاك خمسة عشر عاماً ليتمكن من اجتيازها في مده أقل، لكن الاقتراح لم يُنفذ لصعوبته قانوناً، ومما يلاحظ أن أكثر مدرسي هذه المدرسة كانوا تلاميذ الاستاذ محمد عبده.

وقد تتلمذ أبو زهرة على جمع من العلماء منهم:الشيخ محمد عاطف بركات باشا، وأحمد إبراهيم، وأحمد أمين، وعلي بن محمد الخفيف، ومحمد الأحمدي الظواهري.

وممن تتلمذ على يد أبو زهره: الشيخ محمد الغزالي، وسيد قطب، و يوسف القرضاوي، و مصطفى زيد.

وتوفي ـ رحمه الله ـ يوم الجمعة، التاسع عشر من شهر ربيع الأول، عام أربع وتسعين وثلاثمائة وألف من الهجرة، بمنزله بالزيتون، وكان قد سقط فجأة، فأغمي عليه قبل صلاة الجمعة، وقد كان يحمل المصحف مفتوحاً على سورة النمل يفسرها، واستمر في غيبوبته إلى ما بين المغرب والعشاء

(١) أبوزهرة عالما إسلاميا، أبوبكر عبدالرزاق (١٠) .

حيث فاضت روحه رحمه الله.

آثاره:

يعد الشيخ أبو زهرة من المكثرين في مجال الكتابة والتأليف، فألف وكتب في فنون متنوعة، نشر منها سبعة عشر كتاباً هي على النحو التالي :

الملكية ونظرة القصد، والأحوال الشخصية، وشرح الوقف وقانونه، وأحكام التركات والمواريث، وأصول الفقه، وتراجم للإمام أبي حنيفة، ومالك، والشافعي. وأحمد بن حنبل، وابن حزم، وابن تيمية، والإمام زيد، والإمام جعفر الصادق، والجريمة في الفقه الإسلامي، والعقوبة في الفقه الإسلامي، والخطابة، وتاريخ الجدل، وتاريخ الديانات القديمة، ومحاضرات في النصرانية، والميراث عند الجعفري، وأصول الفقه الجعفري، وعقد الزواج وآثاره، وفلسفة العقوبة، والوقف، والولاية على النفس، وكتاب الزجاج وآثاره، وتنظيم الإسلام للمجتمع، وتاريخ المذاهب الفقهية.

المبحث الثاني : معالم التفسير الإصلاحي في تفسيره.

إن القارئ لتفسير أبي زهرة يلحظ عنايته بالإصلاح ، وحين تأملت في تفسيره تشكّلت لدي معالم التفسير الإصلاحي عند أبي زهرة، وسأذكر أهمها:

أولاً: العناية بالقرآن وبمقاصده:

إن هذا القرآن العظيم هداية البشرية في ماضيها وحاضرها ومستقبلها، وعلى الأمة أن تتمسك به وتربي الأجيال عليه، وإن أمة لا تعتني بكتابها فتتلوه وتتدبره وتعمل به لهي أمة تتهاوى في الانحطاط وتسير إلى الهلاك، وقد نبهه أبوزهرة إلى واجب الأمة نحو كتاب ربها ومصدر عزتها في مواطن كثيرة **ففي تفسيره** لقوله تعالى: (إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا)[1] **قال:** وقد ذكر الله سبحانه الأثر لهذا القرآن الذي يكون وصفًا ملازما له فقال: (يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ) أقوم أي أعدل وأكثر استقامة وتوجيها ودليلا، ولم يذكر المحذوف ليعم كل أنواع مناهج الخير والرشاد، فهو يهدي للحال التي هي أقوم لتشتمل الحال: حال المجتمع، وحال الأسرة، وحال الإنسانية، وكل حال هي خير للإنسان في عاجلته وآخرته، معاشه ومعاده. [2]

ويقرر أن من أعظم أسباب خذلان المسلمين اليوم عدم تدبرهم للقرآن والعمل به فيقول: وإن المسلمين اليوم قد عراهم ما أصاب في ماضيهم، يحفظون القرآن ولا يعونه، ويرددون حروفه ولا يتدبرونه، كما قال ابن مسعود –τ– سيأتي على الناس زمان قليل فقهاؤه، كثير قراؤه، تحفظ فيه حروف القرآن، وتضيع حدوده. [3]

ثانيًا: العناية بالوحدة الموضوعية في القرآن الكريم:

(١) سورة الإسراء آية (٩).

(٢) زهرة التفاسير (٨/٤٣٤١).

(٣) زهرة التفاسير (١/٢٥٨).

اعتنى أبوزهرة بالوحدة الموضوعية لأثرها في فهم القرآن الكريم، "فجميع ما في القرآن، وإن اختلفت أماكنه، وتعددت سوره وأحكامه، فهو وحدة عامة لا يصح تفريقه في العمل، ولا الأخذ ببعضه دون البعض"[١].

وحيث إن الوحدة الموضوعية هي اتحاد الموضوع الذي ذكر متناثرا في القرآن،دونما تباين فيه أو اختلاف وأحسب أن التفسير الموضوعي هو أحد مظاهر العناية بالوحدة الموضوعية عند أبي زهرة، ولذلك فهاهو يجمع الآيات في موضع من تفسيره ليخرج بمعاني المفرة القرآنية أو الموضوع القرآني وهداياته، كاللوعظ[٢] والعفو[٣] في القرآن، والخطأ والخطيئة في تصوير القرآن[٤]، والهوى[٥] والنبذ في القرآن[٦].

ثالثًا: تنزيل الآيات على الواقع:

الأحداث والوقائع أفضل ما يفسر به القرآن إذ لا يستفيد المخاطب حق الفائدة إلا حين يربطه العالم بالأحداث الجارية في عصره، وأبوزهرة إمام في التفسير أجاد في تنزيل الآيات على الواقع أيما إجاده.

ففي تفسيره لقوله تعالى: (مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ) [٧]

قال أبو زهرة: هل آن للمؤمنين أن يفدوا دينهم ودولتهم بأموالهم؟ وهل آن للمسلمين أن يعتبروا بالعبر وقد خلت من قبلهم المثلات، وأن يعلموا حق الله في أموالهم؟

لقد غلبت على المسلمين الشقوة، وضربت عليهم الذلة، حتى إنه ليقتطع من جسم العالم الإسلامي قطعة هي بمنزلة الكبد من الجسم، والأعداء يسلطون على المشردين والمقيمين في الوادي

(١) الإسلام عقيدة وشريعة (٤٨٧).

(٢) زهرة التفاسير (٧٩٩/٢).

(٣) زهرة التفاسير (٧٠٩/٢)، وانظر: (٢٠٨٣/٤).

(٤) زهرة التفاسير (٢٨٧/١).

(٥) زهرة التفاسير (٣٠٥/١).

(٦) زهرة التفاسير (٣٣٥/١).

(٧) سورة البقرة آية (٢٤٥).

المقدس الفقر والجوع، ويحاولون إخراجهم بالجوع والعرى من دينهم، والمسلمون يرون ويسمعون، وهم في غفلة لاهون! ألا فأقرضوا الله قرضًا حسنًا يضاعف لكم، ولا حول ولا قوة إلا بالله. [١]

وفي تفسيره لقوله تعالى: (وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ تَمِيلُوا مَيْلًا عَظِيمًا) [٢]

قال أبو زهرة: سبحانك ربي ما أصدق بيانك وأحكم قرآنك! إننا نجد الآن الذين يتبعون الشهوات ويريدون من أهل الحق أن يميلوا ميلا عظيمًا، فهؤلاء الآن يدعون إلى مجونهم، مرة باسم الوجودية، وأخرى باسم التحرر، وثالثة باسم الحرية، وقد كتبوا في ذلك كتبا،ونشروا قصصا مثيرة يدعون إلى أن يميل الناس كل الميل، واسترسلوا في ذلك استرسالا بكل وسائل الدعاية، فمن خيّالة تُرى المناظر المثيرة، ومناظر في الطرقات تحرض على الفسق والمجون، ومن استباحة علنية لكل ما يخالف الدين والخلق لتتحقق إرادتهم ولكن إرادة الله تعالى غالبة بعونه سبحانه. [٣]

وفي تفسيره لقوله تعالى: (وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنْكُمْ فِي السَّبْتِ) [٤]

قال أبو زهرة بعد ذكره لحيل بني اسرائيل ليستبيحوا ما حرم عليهم: وما أشبه هؤلاء بإخوانهم ينتسبون إلى دين محمد –ρ– حتى أنهم يستبيحون الربا بحيل محرمة، والله عليم بهم وبأحوالهم، ولهم ما أعده الله لبني إسرائيل، وهم أصل الداء في هذا وفي غيره. [٥]

رابعًا: الاستفادة من القصص القرآني في الاصلاح .

" إن المقصود من قصص القرآن العبرة والاعتبار لا سرد وقائع وإمتاع الناس بسردها وتفاصيلها، ولذلك يقصد المولى الكريم إلى موضع العبرة فيجليه، وإلى مكان الاستبصار فيبينه وتلك أقوم السبل، التربية بالتاريخ، والتثقيف بأحوال السابقين. إن الإنسان ابن الإنسان، فمن يريك صورة للماضي مع العبرة، فهو يريك نفسك مع العظة، والماضي دائمًا نور يضيء للمستقبل، فهو المصباح الذي يحمله من يبتغي الهداية ويرجوها.[٦]

---

(١) زهرة التفاسير (٢/٨٨٠).

(٢) سورة النساء آية (٢٧).

(٣) زهرة التفاسير (٣/١٦٥٣).

(٤) سورة البقرة آية (٦٥).

(٥) زهرة التفاسير (١/٢٦٢).

(٦) زهرة التفاسير (٢/٨٨٠).

ففي تفسيره لقصة طالوت وجالوت يقف أبوزهرة ليلفت انتباه القارئ إلى الدروس والعبر المستنبطة من هذه الحادثة فيقول: إن في تلك القصص التي ذكرها القرآن الكريم عبرة للناس أجمعين، وخصوصا الأمم التي تبتلى بالهزيمة، ... إن بعث النبي لبني إسرائيل وهم في هذه الهزيمة دليل على أن السبيل لإنقاذ الأمم من كبوتها وإنهاضها يكون بالرجوع إلى الدين؛ لأنه هو الذي يصهر القلوب ويملؤها بقوة من الله، فتهون بجوارها قوة الناس،.. وفي هذا الطلب منهم- (ابْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ) [1]- عبر وعظات: **أولها:** أنهم أحسوا بالضييياع؛ إذ أصبحوا لا رياسة من بنهم تجمعهم. **وثانيها:** أنهم آمنوا بأن القتال لا يكون إلا تحت إمرة حازمة تسير بهم نحو الهدى والرشاد، وأنه لا يصلح الناس فوضى لا سراة لهم ولا رياسة فيهم. **وثالثها:** أن القتال دفاعا عن الحوزة، واستردادا للحق المسلوب قتال في سبيل الله. [2]

ولأن الهدف الأسمى من ذكر القصة هو أخذ العبرة منها فإن أبازهرة يُعرض عن الحديث عن ما سكت القرآن عنه، فيقول في إبهام القرآن لذكر القرية في قوله تعالى: (وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ) [3]: إن الله أبهم ذكر القرية، ولا نتعرض لبيان ما أبهمه الله تعالى، ولم يذكره نبيه-ρ-، ولم يثبت قول عن أحد من أصحابه-ρ-ليبلغوه للناس، وإن القول في هذه القرية ما هي؟ داخل في النهي في قوله تعالى: (وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ)[4]. [5]

المبحث الثالث: مجالات الإصلاح التي اعتنى بها في تفسيره.

امتازت الشريعة الغراء بكمالها وشمولها وصلاحها لكل زمان ومكان إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، فهي ربانية من الطيف الخبير سبحانه، والقرآن الكريم هو المعجزة الكبرى الصالحة لكل زمان

(١) سورة البقرة آية (٢٤٦).

(٢) زهرة التفاسير (١/٨٨١-٨٨٦). باختصار شديد

(٣) سورة البقرة آية (٥٨).

(٤) سورة الإسراء آية (٣٦).

(٥) زهرة التفاسير (١/٢٤١).

ومكان، وحيث إنه كذلك فقد شمل اصلاحه جميع مناحي الحياة، وهذا الإصلاح يشمل الفرد والمجتمع والدولة.

وحين طالعت زهرة التفاسير ألفيته يتحدث عن الإصلاح والحاجة، ويرى أن مجالاته الثلاثة هي اصلاح الأفراد والمجتمعات والدول، وسأشير إلى شيء من مجالات الاصلاح عند أبي زهرة وهي:

أولًا: الاصلاح في مجال الفرد:

الفرد هو أساس المجتمع ومنه يتكون ولذا فإن العناية بصلاحه لها أهميتها ومكانتها ولقد أشار أبو زهرة إلى أن صلاح الفرد لابد له من عناصر ثلاثة: **أولها:** تطهير النفس من أدناس النفاق كلها، فيخرجها منها كما يخرج الذهب الخالص مما اختلط به، **والثاني:** العمل الصالح يقوم به لذات نفسه وللناس، **والثالث:** أن يكون بين الناس عنصر إصلاح وتوفيق، لا عنصر إغراء وتوهين.. [(١)]

فصلاح الفرد يكون بأمرين هما التخلية والتحلية، فيطهر هذه النفس من كل شائبة، ويحليها بكل حسن تألفه النفوس وتسمو إليه، وأعظم ما تَطهُر به النفوس العناية بأعمال القلوب كالإخلاص لله والخوف من عقابه.

قال أبو زهرة في تفسيره لقوله تعالى: (وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ): فقد أمر الله سبحانه وتعالى .. أن تكون هذه العبادة[(٢)] خالصة لله سبحانه وتعالى لا يشرك المؤمن فيها مع الله سبحانه وتعالى أحدا، وكذلك الشأن في كل عبادة.. يجب أن يتجه العبد فيه إلى الله سبحانه وتعالى، لا يقصد غير الله، ولا يريد بعمله إلا وجهه.. وكل عبادة لا يقصد بها وجه الله لا يثاب صاحبها، بل إنها جديرة بالعقاب لا بالثواب،..وقد وجدنا في عصرنا ناسًا يجاهرون بالصدقة العظيمة يبتغون بها الجاه، أو مَلَق أصحاب الجاه؛ فبأي اسم يسمى عملهم ؟ أليس شركًا خفيًا، أم يسمى شركًا جليًا؟ وهو على أي حال مروق من الدين؛ إذ قد أطرح فيه جانب رب العالمين[(٣)].

وبالخوف من الله تُصان النفوس من غضب الله وعقابه، فعلى المسلم " أن يصون نفسه دائماً بخوف العقاب؛ وأن يغلب الخوف على الرجاء، فإنه إن زاد الرجاء عن الخوف تسربت الاستهانة إلى

(١) زهرة التفاسير (٢/٩٢٦).

(٢) أي عبادة الحج

(٣) زهرة التفاسير (٢/٥٩٨).

النفوس، وإذا تسربت الاستهانة هانت النفس فأركست في السيئات، وارتكبت الموبقات؛ وذلك شأن كثيرين من المنتسبين للأديان، وشأن كثيرين من المسلمين في هذه الأيام".[١]

وعلاج النفوس وصلاحها بالقيام بالعبادات التي أمر الله بها، كالصلاة فإقامتها " أي الاتيان بها مقومة غير معوجة بحيث يستذكر فيها المصلي ربه، ولا يسهو فيها عن ذكره سبحانه، وما ذكرت الصلاة في مقام المدح للمصلين إلا ذكرت بالإقامة؛ لأن إقامتها هي التي تهذب النفس، وتبعدها عن الفواحش والمنكرات، كما قال تعالى: (إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ)[٢] وإن ذكر الصلاة بجوار العمل الصالح فيه إشارة إلى أن الإسلام يلتقي فيه وصفان جليلان: التهذيب الروحي، والنزاهة النفسية التي تكون بالصلاة والمداومة على إقامتها، والعمل النافع المستمر وجلب الخير للناس فيه نزاهة الروح والنفع العام"[٣].

ويحذر الشيخ من الهوى والشهوات فيقول: إن على المسلم أن يحذر من الهوى ويبذل ما في وسعه للتخلص منه فبسببه تنحرف النفس وتزيغ وتذل. " فما أذل النفوس كالشهوات والهواء، وإذا هانت النفوس ذلت، وإذا سيطرت عليها الأهواء خنعت ، ولا يورث في النفس المذلة إلا المطامع".[٤]

ويقول أيضًا:" والزيغ يبتدئ بسيطرة الأهواء على النفوس، فتضطرب فتحيد، فيكتب الزيغ فتزيغ ، وهذا كقوله تعالى: (فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ)[٥] وروت أم سلمة رضي الله عنها أن أكثر دعاء الرسول –ρ– : (يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك)[٦] فمن ضل ليس لنقص في الدلائل إنما للهوى الذي يصد عن اتباع الحق[٧].

قال ابن القيم : في بيان ما قد يكون عندما يترك الشرع وتُقدم آراء أهواء النفوس: "أصل كل فتنة

---

(١) زهرة التفاسير (٣٠٥/١).

(٢) سورة العنكبوت آية (٤٥).

(٣) زهرة التفاسير (٨٣٠/٢).

(٤) زهرة التفاسير (٢٥١/١).

(٥) سورة الصف آية (٥).

(٦) سنن الترمذي (٤٤٨/٤).

(٧) زهرة التفاسير (٢٥١/١).

إنما هو من تقديم الرأي على الشرع، والهوى على العقل.. وكل من له مسكة من عقل، يعلم أن فساد العالم وخرابه إنما نشأ من تقديم الرأي على الوحي، والهوى على الشرع، وما استحكم الأمران – أي الرأي أو الهوى – في أمة إلا فسد أمرهم تمام الفساد. فلا إله إلا الله كم نفي بهذه الآراء من حق، وأثبت بها من باطل، وأميت بها من هدى، وأحيي بها من ضلالة".[1]

ويذكر الشيخ طرائق علاج الهوى كما ذكرها القرآن، ففي تفسيره لقوله تعالى: (فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُلْ لَهُمْ فِي أَنْفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا)[2] فيقول: وفي هذا النص بيان لطرق علاج المنحرفين في نفوسهم إذا كانوا صالحين للعلاج، وهذه الطرق ثلاث مراحل متداخلة:

أولاها: الإعراض عنهم بألا يُقبل عليهم ليشعروا باستنكاره لأعمالهم، وأنه غير راض عنهم، وذلك في غير جفوة، لأنه إن كانت جفوة كان العناد، فلا يمكن أن يصل إلى المرحلة الثانية، وهذه المرحلة الأولى هي التي عبر عنها سبحانه بقوله (فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ).

الثانية: الوعظ، وهو الزجر مع التخويف بسوء العاقبة والمآل ونتائج أعمالهم، فإن ذلك يدفعهم إلى التفكير، ومع التفكير في العاقبة ينفتح باب الهداية وسلوك الطريق المستقيم.

الثالثة: الاتجاه إلى جذبهم بقول بليغ يصل إلى قلوبهم، بأن يبين لهم العاقبة الحسنى في العمل بالحق والخضوع لحكم القرآن المشتمل على شريعة الرحمن. [3]

ثانيًا: الاصلاح الاجتماعي :

لقد اعتنت الشريعة الغراء بالأسرة وذلك لما لها من أثر في المجتمع فالإسلام نظام أسرة، وذلك يظهر في حديث القرآن عن الأسرة وعنايته بها.

---

(١) إعلام الموقعين (١/٥٥).

(٢) سورة النساء آية (٥).

(٣) زهرة التفاسير (٤/١٧٣٨).

قال أبو زهرة: الأسرة[1] هي بناء المجتمع الإنساني واللبنات التي ينشأ منها صريح مجتمع فاضل، فالمجتمع القوي الفاضل لا يقوم إلا على دعائم من أسرة فاضلة؛ ففي الأسرة يتعلم الطفل مبادئ المجتمع المشترك المتحد المؤتلف وفي الأسرة يسمو نزوعه المدني إلى الاجتماع والائتلاف، ويتجه اتجاهاً مستقيماً نحو أسمى الغايات الاجتماعية، وهو أن يكون آحاده ممن يألفون، ولذلك قال النبي –ρ– (المؤمن مألفٌ، ولا خير فيمن لا يألف ولا يُؤلف).وإن القواد والزعماء الذين يعدون أممهم للكفاح يبتدئون بالأسرة فيحمونها ويقيمون دعائمها على أسس الخير وحب الاجتماع، والاستعداد للفداء في سبيله. [2]

ويشير أبو زهرة إلى اللبينة الأولى في بناء الأسرة التي يتكون منها المجتمع فبقول: فهاهو يقرر أن شريعة القرآن شرعت الزواج عقدا أبديا في أصل شرعته، لأنه شرع لمعان وأغراض لا تتحقق إلا مع البقاء والدوام، فقد شرع لإقامة الأسرة وتنظيم الحياة بين الرجل والمرأة، وإنجاب النسل، والقيام على تربيته والسير به في مدارج الحياة، وتلك أغراض لا تكون على الوجه الأكمل إلا إذا استمرت الحياة الزوجية موصولة موثقة بروابط من المودة والأخلاق والشرع إلى أن يقضي الله قضاءه، ذلك حكم الشرع، وهو سنة الوجود، وهو أكثر أحوال الزواج بين بني الإنسان. [3]

وحيث إن عقد الزواج أبدي فإن أبا زهرة يحث على حسن الإختيار سواءأكان من الزوج أو الزوجة، ففي تفسيره لقوله تعالى:(وَلَا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّى يُؤْمِنَّ) [4] **قال:** ابتدأ من أحكام الأسرة ونظمها الفاضلة بالانتقاء في ركنيها، وهما الزوج والقرينة، فإنه إن كان الاختيار فيهما حسنًا كانت العلاقة موثقة بروابط المودة والرحمه والإخلاص كما قال تعالى: (وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ

(١) مراد أبي زهرة من الأسرة الأبوين والأقارب. وقد قرر هذا فقال: والأسرة في الإسلام ممتدة، ليست مقصورة على الأبوين أو الزوجين، بل إنها ممتدة تشمل الأقرباء أجمعين، يحسن إليهم الأقرب فالأقرب حتى يعمهم ويبرهم جميعا. زهرة التفاسير(٢٩١/١)

(٢) زهرة التفاسير (٢٩١/١).

(٣) زهرة التفاسير (٧٥٥/٢).

(٤) سورة البقرة آية (٢٢١).

لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً)[1].[2]

وعند وقوع الخلاف بين الزوجين يرشد القرآن إلى الحلول الناجعة لرئب الصدع فعند قوله تعالى: (وَاللَّاتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا ●وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَمًا مِنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِنْ أَهْلِهَا إِنْ يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا) [3]. **قال أبوزهرة:** النشوز خروج الزوجة عما توجبه الحياة الزوجية من طاعة الزوجة لزوجها، وقيامها على شؤن بيتها، ولم يقل الله (ينشزن) للإشارة إلى أمرين: **أولهما** علاج الداء قبل أن يستفحل، وذلك بأن يكون العلاج عند ظهور بوادر النشوز وظهور أماراته، حتى لا يصل إلى أقصى درجاته، وهو أن تهجر الزوج الزوج وتخرج من منزله. لأن ذلك العلاج يكون وهي في ظل العش الزوجي لم تغادره. **والأمر الثاني** استكثار وقوع النشوز بالفعل ، وهو أن تترك البيت على من فيه ومافيه، وقد ذكر الله لهذا النوع من النساء ثلاثة أنواع من العلاج: **أولها** الوعظ وهو القول الذي يؤثر في النفس ويوجهها إلى الخير، **والثاني:** الهجر في المضجع، و**الثالث:** من دواء النشوز الضرب، وهو أقصاها، ولا يلجأ إليه إلا عند فشل الدواءين السابقين. [4]

والنفس البشرية جبلة على الذنب والقرآن يسعى لتهذيبها وعلاجها ففي قوله تعالى: (وَاللَّاتِي يَأْتِينَ الْفَاحِشَةَ مِنْ نِسَائِكُمْ) [5]، **قال أبو زهرة:** يتجه النص الكريم إلى إقامة دعائم الأسرة، التي هي خلية التكوين الإنساني، وخلية البناء الاجتماعي، والمهد الذي يتربى فيه النوع تربية يكون بها الإلف والائتلاف مع المجتمع الذي ينشأ فيه.

وقد إبتدأ بإبعاد ما من شأنه إفساد بناء الأسرة وهو الفاحشة، فإن مثل من يبني الأسرة كمثل من يبني قصرا مشيدا، يُنقي أولا مواد البناء من العناصر التي لا تجعله متماسكا، أو تكون مواد تنقص

---

(١) سورة الروم آية (٢١).

(٢) زهرة التفاسير (٢/٧١٤).

(٣) سورة النساء آية (٣٤-٣٥).

(٤) زهرة التفاسير (٣/١٦٦٩-١٦٧٠).

(٥) سورة النساء آية (١٥).

بناءه، ولذا قال سبحانه وتعالى(وَاللَّاتِي يَأْتِينَ الْفَاحِشَةَ مِنْ نِسَائِكُمْ فَاسْتَشْهِدُوا عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً مِنْكُمْ فَإِنْ شَهِدُوا فَأَمْسِكُوهُنَّ فِي الْبُيُوتِ حَتَّى يَتَوَفَّاهُنَّ الْمَوْتُ أَوْ يَجْعَلَ اللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا) ..وقد ذكر الله علاج النساء اللائي وقعن في ذلك الأمر المنكر ..فكان علاجهن بأمرين:

أحدهما: يختص بهن وهو إمساكهن في البيوت، وليس الإمساك معناه الحبس والتضييق المجرد، بل الإمساك معناه الحفظ والصيانة والرعاية، ويتضمن ذلك معنى الإرشاد والتوجيه والوعظ،.. وذلك لأن المرأة تزل إذا فقدت التهذيب، وحرمت من الصيانة فتنطلق غير مقيدة. إذا لم يكن لها هاد مرشد وإذا كان ذلك سبب الزلل، فعلاج الانحراف بالإمساك في البيوت مع الحفظ والرعاية . ويستمر الإمساك حتى الوفاة أو حتى الزواج (فَأَمْسِكُوهُنَّ فِي الْبُيُوتِ حَتَّى يَتَوَفَّاهُنَّ الْمَوْتُ أَوْ يَجْعَلَ اللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا)[1] أي: طريقا واضحا لمنع الزلل والابتعاد عنه، وذلك بتحصين نفسها بالزواج. [2]

ولكي يحافظ على صلاح المجتمع لابد من القيام بشعيرة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، ولذا فإن أبا زهرة يحث عليها ويرشد إلى أهميتها ففي قوله تعالى: (وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ)[3] **فيقول:** والأمة التي تقصد وتكون من صفوة الأمة لها عملان متمايزان بنص الآية: **أحداهما:** الدعوة إلى الخير، **وثانيهما:** الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. أما الأول فهو توجيه الأمة إلى النفع العام، فالخير هو كل أمر نافع في الدنيا أو في الآخرة.. وأما الثاني وهو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فالمراد به نشر الفكر الإسلامي، وبيان الحقائق الدينية، وتوجيه النفوس إليها، وجذبهم نحوها، ودفع كل ما ليس بإسلامي، وإقامة الحق والعدل...، وإن ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وخصوصًا للأمراء والحكام هو الذي أضاع المسلمين[4]

ويحذر المجتمعات من الكبائر فيقول: إن الكبائر اتسمت بسمتين: **إحداهما:** أنها تهدم أمرا

(١) سورة النساء آية (١٥).

(٢) زهرة التفاسير (٣/١٦١٠).

(٣) سورة آل عمران آية (١٠٤).

(٤) زهرة التفاسير (٣/١٣٤٤-١٣٤٧) باختصار.

ضروريًا من ضروريات المجتمع، فالزنا يهدم الأسرة، والقذف يهدمها ويشيع الفاحشة، وشرب الخمر يفسد العقل وهو ضروري للمجتمع، والسحر يفسد العلاقات الإنسانية، وعقوق الوالدين ينقض بناء الأسرة من قواعده.. وهكذا. **والسمة الثانية:** أن الاعتياد عليها يميت الضمير ويجعل النفس تمرن على الشر...، **ولذل نقول:** إن الكبائر هي المفاسد التي تهدم بناء المجتمع الفاضل، والمعاصي التي يصر عليها الشخص ومن شأنها أن تفسد غيره، ولو كانت في ذاتها هينة، لأن استمراء النفس للمعصية الصغيرة يسهل الكبيرة. (١)

ويبرز أبو زهرة عناية القرآن بالاصلاح الاجتماعي ففي تفسيره لقوله تعالى: (يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ _ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَى قُلْ إِصْلَاحٌ لَهُمْ خَيْرٌ وَإِنْ تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَعْنَتَكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ) (٢)

قال رحمه الله: أسئلة ثلاثة وإجابتها، وكلها **يتصل باصلاح المجتمع**، وتقوية بنيانه، وكل واحد منها يتجه إلى ناحية إصلاحية، وكلها يتلاقى نحو مقصد واحد، وهو إقامة بناء المجتمع على دعائم من الفضيلة والمودة والتعاون على الخير، وعدم التعاون على الإثم والعدوان، وقد جاءت هذه المعاني التي توثق الوحدة، وتقوي الروابط بعد الأمر بالجهاد مع بعض أحكام القتال؛ لأن القتال حماية الدولة من أن يلتهمها العدو الخارجي، والإصلاح في هذه المسائل الثلاث يتناول حماية الأمة من أن تأكل نيران العدو الداخلي، وهو التنابذ، وأن تنظر كل طائفة للأخرى نظر العدو المترصد، لا نظر العضو المتعاون والأخ المتودد، ولأن الوحدة الداخلية والاتحاد المكين عدة القتال، وذخيرة الحرب...ولأن مقصد الإسلام الأسمى هو إيجاد جماعة متآخية متحابة على أسس من الفضيلة والخلق الكريم،..وقد ابتدأ القرآن الكريم في إصلاح المجتمع الإسلامي بهذه المسائل والإجابة عنها؛ لأنها تنفي الأذى وتدفع الخطر الاجتماعي، ومن المقرر عند علماء الإسلام أن التخلية مقدمة على التحلية،... وإن هذه

---

(١) زهرة التفاسير (١٦٦١/٣).

(٢) سورة البقرة آية (٢١٩-٢٢٠).

الأسئلة الثلاثة هي: السؤال عن الخمر والميسر، والسؤال عن مقدار ما ينفق، والسؤال عن اليتامى وإصلاحهم.

أما السؤال عن الخمر والميسر هو بلاشك عن الحل والتحريم لا عن الحقيقة والذات،فإنهم يعرفونها بلاشك،.. والسؤال بلا ريب من المؤمنين لأنهم رأوا الخمر تذهب الرشد وتضعف العقل وتجعل المرء يقع فيما لا يحسن،.. " فأجابهم القرآن بأنها إثم" والمراد بالإثم ما يقابل النفع وهو الضرر، وضررها أكبر من نفعها بلا ريب، وحسبها ضررا أمران لا شك في وجودهما ولا ريب في أنهما يترتبان عليها: **أولهما:** إضعاف صوت الضمير، ولا شيء يضر في الاجتماع أكثر من صوت الضمير أو إضعافه؛ لأن الخلق الإجتماع الذي يترتب عليه الإلف والائتلاف بين الناس أساسه الحياء، والاحساس بسلطان الجماعة لائمة ومهذبة، وتبادل الشعور بينه وبين غيره، ثم النفس اللوامة، **وإن الكأس تذهب بكل هذا:** تذهب بالحياء والحياء خير كله، ويندفع الشخص في مخالفة الجماعة غير هياب ولا وجل.**ثاني الأمرين:** ذهاب الرشد، أو إضعاف الإدراك ووزن الأمور وزنا صحيا.

هذا الخمر، وأما الميسر فهو قمار العرب، وقد كانت عادة العرب أن يفعلوا ذلك عند اشتداد الضائقة ليتبرعوا بنتائج الكسب على الفقراء، والميسر مضارة كثيرة فهو يؤدي إلى اتلاف المال وإهمال الأعمال، وهو أكل لمال الناس بالباطل، ويفسد الأخلاق، وهو فوق ذلك يصد عن ذكر الله وعن الصلاة ويورث العداوة والبغضاء.

وأما السؤال عن الذي ينفقون فمناسبته للأول أنهم كانوا يتخذون من الخمر والميسر طريق لتسخية نفوس الأشحة على الخير الذين لا يجودون من تلقاء أنفسهم، فكان السؤال عن الانفاق على البر عقب السؤال عن الأمر الآثم الذي كانوا يحسبونه برا وهو إثم لا بر فيه، وفي الإجابة عن هذا السؤال بيان طريق العطاء المنظم المعلوم الخالي من الإثم، أي: السهل الزائد عن حاجتكم الأصلية الذي لا يشق عليكم بذله، إن استقامت النفوس، وامتلأت القلوب بالإيمان.

وأما السؤال عن اليتامى فالإجابة فيه أساسها أيضا إماطة الأذى عن الجماعة الإسلامية، فإنه إذا كان الإنفاق على الفقراء يحمي المجتمع من الفقر وأهواله وغوائله، فحماية اليتامى وكلاءتهم تحمى

المجتمع من أن يكون منهم شريرون يبغضون المجتمع، ويجلبون له الويلات وهم في كنف المجتمع من أن يكون منهم شريرون يبغضون المجتمع، ويجلبون له الويلات وهم في كنف المجتمع ورعايته. [١]

ولئن كانت المجتمعات تتضرر بمقارفة الذنوب والمعاصي فلهي أشد ضررا بالمجاهرة بها وإعلانها، ولذا فهاهو يحذر فيقول عند قوله تعالى: (لَا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ) [٢] إن الله تعالى يبغض الجهر بالأمر السيء أو الأفعال السيئة، وكل إعلان للمنافق والفاجر بالأمر المسيء هو من قبيل الجهر بالسوء من القول، وذلك يشمل كل إعلان للأعمال القبيحة، والترامي بها، فيشمل القذف والسباب وإعلان المعاصي والجرائم، وتفصيل القول فيها من غير حاجة إلى بيانها، ولا إقامة حق في إعلانها، فإن ذلك كله من شر القول وفاحشه . [٣]

وأختم بتقريره لمبدأ التساوي بين الحقوق والواجبات في الإسلام ففي تفسيره لقوله تعالى: (وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ)[٤] **قال:** هذا هو القانون العادل الشامل، نطق به القرآن الكريم منذ أربعة عشر قرنا، وقد شرعه الإسلام في وقت لم يعترف أي قانون من قوانين العالم بأن للمرأة أي حق من الحقوق، فجاء الإسلام ووضع تلك القاعدة العادلة؛ وهي أن الحقوق يجب أن تكون متكافئة مع الواجبات، وما من حق إلا تعلق به واجب، فإذا كان للرجل سلطان في البيت وعلى المرأة واجب الطاعة فلها حق وهو العدل، وإذا كانت قارة في بيتها قائمة بشئونه فلها حق الإنفاق..، وليس معنى أن الواجبات على المرأة مساوية للحقوق التي لها على الرجل أن المرأة مساوية للرجل من كل الوجوه، فإن الإسلام قرر فقط تساوي الحقوق والواجبات بالنسبة لها، وليس لذلك علاقة بشأن المساواة بينها وبين الرجل في نوع الحقوق والواجبات، ولكي لا يفهم أحد هذا المعنى قال سبحانه: (وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ). [٥]

---

(١) زهرة التفاسير (٢/٦٩٥-٧١١) باختصار.

(٢) سورة النساء آية (١٤٨).

(٣) زهرة التفاسير (٤/١٩٢٩).

(٤) سورة البقرة آية (٢٢٨).

(٥) زهرة التفاسير (٢/٧٦٨).

ثالثًا:الاصلاح السياسي:

الاصلاح السياسي مقصد من مقاصد الشريعة التي اعتنت به، " وهو باب عظيم في القرآن القصد منه صلاح الأمة وحفظ نظامها كالإرشاد إلى تكوين الجامعة بقوله: (واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا واذكروا نعمت الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها) [(١)]وقوله: (إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا لست منهم في شيء) [(٢)]وقوله: (ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم) [(٣)]وقوله: (وأمرهم شورى بينهم) [(٤)]". [(٥)]

وقد ناقش الاصلاح السياسي في النقاط التالية:

الأولى: اختيار الخليفة:

ففي تفسيره لقوله تعالى: (أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَإِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى إِذْ قَالُوا لِنَبِيٍّ لَهُمُ ابْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ)[(٦)] قال: أصل البعث الإثارة والإخراج فمعنى: (ابْعَثْ لَنَا مَلِكًا) يتضمن أنه يفحص الجماعة بإثارة أحوال رجالها وتعرف خواصهم ومزاياهم وتخير أمثلهم، وإخراجه من بين صفوفهم ليكون ملكًا عليهم، فلا يكون مفروضًا عليهم، بل يكون متخيرا من بينهم بتخير من لا يُشك في تخيره...والملك المراد هنا مالك أمرهم، والمتولي ملكهم وليس المراد منه المعنى المتعارف، وهو من يتولى بالسلالة فإنه سيتبين أنه لم يختر لسلالته، بل اختير لعلمه وحكمته وقوته؛ ولم يستمر الملك في ذريته، بل آل من بعده لنبي الله داود كما تدل على ذلك أخبار داود التي ذكرها القرآن الكريم، فليس في الآية دلالة على أن النظام الملكي الذي نعرفه في عصرنا مطلوب لا بالعبارة ولا بالإشارة، لأنها ليست ملكية الوراثة والسلالة، بل رياسة العلم والقدرة والحكمة، فما اختيار

---

(١) سورة آل عمران آية (١٠٣).

(٢) سورة الأنعام آية (١٥٩).

(٣) سورة الأنفال آية (٤٦).

(٤) سورة الشورى آية (٣٨).

(٥) التحرير والتنوير (١/٤١).

(٦) سورة البقرة آية (٢٤٦).

طالوت لمعان شخصية فيه. [1]

قلت وما ذكره أبو زهرة أحد طرائق اختيار الحاكم في الإسلام وأنجعها، وهناك طرائق أخرى ذكرها قال القرطبي: واختلف فيما يكون به الإمام إماما وذلك في ثلاث طرق، أحدها: النص، والثاني: أن من استخلف بالنص فله الحق أن يستخلف غيره، والطريق الثالث: إجماع أهل الحل والعقد. [2]

ويشير الشيخ إلى مقومات ترشيح السلطان فيقول: تلك هي عناصر الحكم الصالح ؛ لابد أن يكون الحاكم قويًا في جسمه، بحيث لا يخذل جسمه إرادته، فكثيرا ما يكون ضعف الإرادة من ضعف الجسم، وضعف التدبير من تخاذل القوى البدنية عن الاحتمال، ولكن قد تكون الإرادة القوية والعزيمة الماضية في الجسم ضعيف، وفي هذه الحال قد يستغنى عن ذلك العنصر إن لم يوجد شخص تتوافر فيه قوة النفس وقوة الجسم معًا، فالاعتبار الأول لقوة النفس، وقوة الجسم خادمة لقوة النفس وليست مقصودة لذاتها.

والعنصر الثاني هو الحكمة: وهي كما رأيت جعل العمل يسير مع العقل فلا تتحكم الأهواء والشهوات، وآفة الحكم الصالح هوى الحاكم، فإن غلبت رغبته عقلة غلب الفساد حكمه، فليختبر كل حاكم نفسه، فإن رأى أهواءه هي المسيطرة فليعلم أن الشر قد استحكم، وأنه أولى به ثم أولى أن يعتزل وإن عقله هو المسيطر فليعلم أن الله أجرى عليه التوفيق.

والعنصر الثالث الإحاطة التامة بمصالح الناس وأحوالهم: فإن الحاكم عمل للمصلحة؛ وليس سيطرة وتحكما، ومن ظنه سيطرة وتحكما فهو ممن طمس الله بصيرته، وغلبت عليه شهوته.

ثم يذكر الفرق بين الحاكم الصالح وغير الصالح فيقول: إن الفرق ما بين الحكم الصالح وغير الصالح دقيق في معناه؛ وإن كان الأثر كبيرا في مبناه، فالحكم الصالح أساسه أن يكون الحكم لمصلحة المحكوم وإجابة لرغبته، والحكم غير الصالح أساسه أن يكون الحكم تحكمًا في المحكوم. [3]

---

(١) زهرة التفاسير (٢/٨٨١).

(٢) الجامع لأحكام القرآن (١/ ٢٦٨).

(٣) زهرة التفاسير (٢/ ٩٠٩-٩١٠).

ثم ينبه إلى أن لولي الأمر حقوق لابد من مراعاتها وعليه واجبات يلزمه القيام بها، ففي تفسيره لقوله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ) [1]

قال: إن القرآن الكريم يصرح بأن ولاة الأمر الذين تجب طاعتهم يجب أن يكونوا من المؤمنين، ولذلك يقول سبحانه (منكم) فلا طاعة مطلقا لمن يغلبون على شئون المسلمين ممن ليسوا من أهل الإيمان، فأولئك المنحرفون من بعض أهل الهوى الذين يزعمون أنهم مسلمون، ويزعمون أن الأنجليز أيام حكمهم كانوا من ولاة الأمور الذين يوجب النص طاعتهم- قد ضلوا ضلالا بعيدا، وهم بهذا وبغيره خارجون عن حكم الإسلام....، وقد ثبت بإجماع العلماء الذي لا مماراة فيه أن طاعة أولياء الأمر إنما تكون فيما فيه طاعة الله تعالى، وطاعة رسوله الأمين كما نوهنا، وأنه ليس لولي الأمر طاعة في معصية، لقوله-ρ- (لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق)[2]، ولقوله-ρ- (إنما الطاعة في المعروف)[3]... ولما قررنا من أن طاعة أولي الأمر مقرونة بطاعة الله ورسوله، وأنه ليس من المعقول أن يفهم من الآية أن ولي الأمر يطاع حيث يُعصى الله ورسوله، وهما مقترنتان، وولي الأمر منَّا حقا وصدقا لا يخالف الله ورسوله، وإلا كان متغلبا طاغيا...وإذا كانت طاعة ولي الأمر لا تكون إلا في دائرة الكتاب والسنة، فلا بد أن يكونا هما المرجع في الوفاق والخلاف معا... [4]

وواجب عليهم استماع النصيحة: ففي تفسيره لقوله تعالى: (وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفَسَادَ)[5]

قال: إن أول مظاهر الطغيان صم الآذان عن سماع كلمة الحق، ولعل الأمارة الظاهرة للحاكم العادل هي سماعه النقد الملام؛ فضلًا عن الوعظ والإرشاد، وأمارة الحاكم الطاغي تبرمه بنصح

---

(١) سورة النساء آية (٥٩).

(٢) مسند الإمام أحمد (٣٣٣/٢) ، **إسناده صحيح على شرط الشيخين**. انظر المسند (٣٣٣/٢).

(٣) مسند الطيالسي (٨٨/١).

(٤) زهرة التفاسير (٤/ ١٧٢٩-١٧٣٠) باختصار.

(٥) سورة البقرة آية (٢٠٧).

الناصحين ونقد الناقدين فضلا عن لو اللائميين. [1]

ويحذر الشيخ من بطانة السوء في تفسيره قوله تعالى: (وَإِذْ نَجَّيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ) [2] قال: ولقد قال تعالى: (آلِ فِرْعَوْنَ) ولم يقل أنجاكم من فرعون، وذلك لأن آله شيعته ونصراؤه وأعوانه، وطغاة الدنيا يكون شرهم من أنفسهم أولا، ومن حاشيتهم الذين يحطون على أهوائهم ثانيًا، فيزينون لهم ظلمهم ، ويسمونه عدلا ويبنون له وجوه الكيد، ويمكرون مكرهم، فلولا بطانة السوء ما كان السوء، ولولا حاشية فساق الحكام ما استمكنوا، وما طغوا في البلاد، وكلمة حق من حاشيتهم تقيم عدلا وتدفع ظلما. [3]

الخاتمة

(١) زهرة التفاسير (٢/ ٦٤٥).

(٢) سورة البقرة آية (٤٩).

(٣) زهرة التفاسير (١/٢٢٥).

وبعد هذه الدراسة الموجزة أختم بأهم النتائج والتوصيات:

أولاً: أن التجديد في علوم الشريعة مهم، ليلبي حاجات الأمة المتجددة.

ثانياً: لا يكون التجديد إلا في فروع الشريعة وأما أصولها فهي ثابتة لا تتغير بتغير الازمان والأحوال.

ثالثاً: أن التفسير الاصلاحي ثمرة يانعة من ثمار التجديد في التفسير خصوصا، وعلوم الشريعة عموما.

رابعاً: أن التجديد في الاصطلاح هو: إحياء النص ليتواكب مع مستجدات العصر بالنظر في فروع الشريعة دون المساس بأصولها.

خامساً: أن التفسير الاصلاحي هو: بيان آي الكتاب لطرائق إصلاح الأفراد والمجتمعات، سلوكيًا واجتماعيًا واقتصاديًا وسياسيًا.

سادساً:من معالم التفسير الاصلاحي عند أبي زهرة: العناية بالقرآن وبمقاصده ، و العناية بالوحدة الموضوعية في القرآن الكريم، وتنزيل الآيات على الواقع، الاستفادة من القصص القرآني في الاصلاح.

سابعاً: أن أبا زهرة اعتنى بمجالات الاصلاح الثلاثة وهي إصلاح الفرد والمجتمع والدولة.

وأما التوصية التي أود أن أشير إليها فهي حث الإخوة الباحثين في العلوم الشرعية إلى الكتابة في ضوابط التجديد في علوم الشريعة، لتكون ميزان حق يتبين من خلالها التجديد المقبول من المردود.

هذا؛ والله أعلم، والحمد لله أولاً وآخراً، وصلى الله وسلم على إمام المتقين، ورضي عن آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

فهرس المراجع

١. **القرآن الكريم.**
٢. **الإسلام عقيدة وشريعة**، ، لمحمود شلتوت، دار الشروق، ط الرابعة عشر، ١٤٠٨هـ
٣. **البحر المحيط ، تفسير أبي حيان** ، تحقيق : عادل عبد الموجود وزملائه ، دار الكتب العلمية ، ط الأولى ، ١٤٢٢هـ .
٤. **تاج العروس من جواهر القاموس**، لمحمد مرتضى الزبيدي، ت: عبدالستار أحمد، مطبعة حكومة الكويت، ١٣٨٥هـ.
٥. **التحرير والتنوير**، لمحمد الطاهر بن عاشور التونسي، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت، ط: الأولى، سنة ١٤٢٠هـ
٦. **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان** ، للسعدي ، دار الذخائر، ط الأولى ، ١٤٢٠هـ .
٧. **جامع البيان في تأويل القرآن**، لمحمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري، المتوفى (٣١٠هـ)، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط:١، ١٤٢٠هـ- ٢٠٠٠م.
٨. **الجامع الصحيح المختصر**، لمحمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، تحقيق: د. مصطفى ديب البغا ، دار ابن كثير ، اليمامة – بيروت، ط:٣ ، ١٤٠٧هـ- ١٩٨٧م.
٩. **الجامع الصحيح المسمى صحيح مسلم**، لأبي الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري، دار الجيل بيروت ودار الأفاق الجديدة . بيروت،
١٠. **الجامع لأحكام القرآن**، لأبي عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى : ٦٧١ هـ)، تحقيق: هشام سمير البخاري، دار عالم الكتب، الرياض، ط:١، ١٤٢٣هـ.
١١. **زهرة التفاسير**، محمد أبو زهرة، دار الفكر العربي، بدون.
١٢. **سنن الترمذي**، لأبي عيسى الترمذي، تحقيق أحمد محمد شاكر وآخرون، دار إحياء التراث العربي – بيروت.
١٣. **الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية**، لإسماعيل بن حماد الجوهري، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، ط:٤، ١٤٠٧هـ- ١٩٨٧م.
١٤. **لسان العرب**، لمحمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري، دار صادر، بيروت، ط:١.
١٥. مسند الإمام أحمد، ت: عبدالله التركي، الرسالة، بيروت، ط: الأولى، ١٤٢١هـ.
١٦. **معجم مقاييس اللغة، لأبي الحسين أحمد بن فارس**، ت:عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، سنة: ١٣٩٩هـ.
١٧. **المعجم الوسيط**، لإبراهيم مصطفى وآخرون، ت: مجمع اللغة العربية، دار الدعوة.

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
المقدمة	٢
التمهيد	٤
المبحث الأول: التعريف بالمصطلحات والمؤلف.	٥
المطلب الأول: التعريف بالمصطلحات:(التجديد-التفسير الإصلاحي)	٦
المطلب الثاني: تعريف موجز بالإمام محمد أبو زهرة.	٨
المبحث الثاني: معالم التفسير الإصلاحي في تفسير أبي زهرة .	١٠
المبحث الثالث: مجالات الإصلاح التي اعتنى بها في تفسيره.	١٤
الخاتمة وأهم النتائج	٢٥
فهرس المراجع	٢٦
فهرس الموضوعات	٢٨